



# ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

## مجلة الراسيخون

### مجلة عالمية محكمة

ISSN: 2462-2508

Volume 12, Issue 2, June 2026

الإصدار الثاني عشر، العدد الثاني، يونيو 2026





## هيئة التحرير



### مدير هيئة التحرير

الأستاذ المشارك الدكتور /

محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب

نائب مدير هيئة التحرير (أول)

الأستاذ المساعد الدكتور /

سامي سمير عبد القوي

نائب مدير هيئة التحرير (ثان)

الأستاذ المشارك الدكتور /

عبد الكريم أحمد مغاوري

سكرتيرة هيئة التحرير

الأستاذة / دينا فتحي حسين

مجلة الراسخون

ARRASIKHUN JOURNAL

مجلة عالمية محكمة

لإرسال المقالات والمشاركات  
عبر البريد الإلكتروني

[arrasikhun.journal@mediu.edu.my](mailto:arrasikhun.journal@mediu.edu.my)



## فهرس العدد

7	..... المنظومات في القراءات الشاذة: دراسة وصفية تحليلية
	دلالة تقديم المتأخر- زمنياً أو حكماً- في القرآن الكريم (الموت والحياة- أنموذجاً) دراسة تحليلية
29	..... سياقية
59	..... النداءات الإيمانية في سورة الحجرات وأثرها في بناء المجتمع المؤمن: دراسة تحليلية موضوعية
89	..... حَقِيقَةُ الْوُدِّ وَدَلَالَتُهُ السِّيَاقِيَّةُ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ
121	..... الاعتراض بطلب النقض لعيب في الإثبات في الفقه الإسلامي والأنظمة السعودية
149	..... آراء الإمام الطرطوشي المتعلقة بالقضاء ومسائله: دراسة فقهية تحليلية
183	..... عقد الإيجار في الفقه الإسلامي ونظام المعاملات المدنية السعودي دراسة مقارنة
220	..... اختيارات الإمام الطبري الفقهية في شروط القاضي وأدلة الإثبات
246	..... الإعلام الغربي وصناعة الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين: الإسلاموفوبيا أنموذجاً



## دلالة تقديم المتأخر-زمنًا أو حكمًا- في القرآن الكريم (الموت والحياة- أنموذجاً) دراسة تحليلية سياقية.

### The Semantic Significance of Foregrounding What Is Subsequent—Temporally or Conceptually—in the Qur’ān: Death and Life as a Case Study- A Contextual and Analytical Study

د/ نعيمة عبد العزيز حجازي محمد

الأستاذ المساعد بقسم الكتاب والسنة- كلية الدعوة  
وأصول الدين - جامعة أم القرى- مكة المكرمة - المملكة  
العربية السعودية.

Dr Na‘imah ‘Abd al-‘Azīz Hījāzī Muḥammad

nahejazi423@gmail.com

Al-Madinah International University  
Journal Of Arrasikhun Journal,  
Volume 12, Issue 2, June 2026

Copyright © 2026 Na‘imah ‘Abd al-‘Azīz Hījāzī Muḥammad  
Manuscript Received Date: 2026/4/22 |  
Manuscript Acceptance Date: 2026/6/14 |  
Manuscript Published Date: 2026/6/30

#### ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار الآيات التي تقدم فيها ذكر الموت على الحياة في القرآن الكريم، والكشف عن الحكم الإلهية والفوائد الدلالية المستفادة من السياق القرآني من تقديم الموت المتأخر زمنًا وحكمًا على الحياة، متبعة منهج التتبع والتحليل المفضل للآيات، فنتج عنها: اختلاف الدلالات المستفادة من تقديم الموت على الحياة تبعًا لاختلاف الجهة المتكلمة، فإذا ورد في الخطاب الإلهي دلّ على العظمة والسلطان، وإذا صدر عن الأنبياء أفاد معاني اليقين والإيمان، أما إذا ورد عن المشركين فإنه يعكس دلالات الكفر والإنكار، كما أن تقديم الموت فيه إشارة إلى تقديم الأسبق في الوجود والخلق، وفيه التذكير بأصل نشأة الإنسان ومبدأ خلقه؛ إذ كان العدم سابقًا على الوجود، والاستدلال على قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت، والردّ على منكريه، والتنبيه إلى أن الموت من جملة نعم الله تعالى على عباده، لما يترتب عليه من انقضاء الآلام والمتاعب الدنيوية، والانتقال إلى النعيم الأبدي الأخروي، وإبراز جانب العظة والاعتبار في ذكر الموت وسكراته.

#### الكلمات المفتاحية:

تقديم- المتأخر- زمنًا أو حكمًا- الموت- الحياة.



## Abstract

This study investigates the Qur'ānic verses in which death is mentioned before life, despite its being subsequent to life in both temporal sequence and legal consideration. It seeks to uncover the divine wisdom and semantic implications underlying this rhetorical ordering through a contextual analysis of the relevant Qur'ānic passages. The study employs an inductive methodology to identify the relevant verses, followed by a contextual and analytical examination of their meanings. The findings demonstrate that the semantic significance of foregrounding death over life varies according to the speaker within the Qur'ānic discourse. When the expression occurs in the divine address, it conveys the majesty and absolute sovereignty of Allah. When articulated by the prophets, it signifies certainty of faith and unwavering conviction. By contrast, when it appears in the speech of the polytheists, it reflects attitudes of disbelief, denial, and rejection. The study further concludes that the precedence of death alludes to the primacy of what came first in the order of creation and existence. It serves as a reminder of humanity's origin and the beginning of creation, insofar as non-existence preceded earthly life. Moreover, it constitutes evidence of Allah's power to resurrect humanity after death and provides a refutation of those who deny the Resurrection. The analysis also reveals that death is presented as one of Allah's blessings bestowed upon His servants, since it marks the end of worldly hardship and suffering and the transition to the everlasting bliss of the Hereafter. Finally, the foregrounding of death reinforces the Qur'ān's moral and spiritual purpose by directing attention to the inevitability of death, its agonies, and the lessons of reflection and admonition that arise from contemplating it

## :Keywords

Foregrounding; What Is Subsequent Temporally or Conceptually; Death; Life; Qur'ānic Semantics; Contextual Analysis



## المقدمة:

في القرآن الكريم لمفردتي (الموت والحياة) بوصفهما من أكثر الثنائيات وورداً وتنوعاً في السياق القرآني، واختلاف ترتيب اللفظتين زمنياً وحكماً، ووجوداً وشرعاً يحمل دلالات تفسيرية عميقة تبعاً لاختلاف المقامات والسياقات، فكان هذا البحث الموسوم بـ «دلالة تقديم المتأخر - زمنياً أو حكماً - في القرآن الكريم (الموت والحياة - أنموذجاً) - دراسة تحليلية سياقية»، وكان هذا سبب اختياري للموضوع، بالإضافة إلى أسباب أخرى:

- 1- عموم الحاصل من هذا البحث لطلبة العلم عامة ولطلبة التفسير وعلوم القرآن خاصة.
- 2- الحاجة الماسة لدراسة دلالات أساليب القرآن الكريم وفهم مرادها.
- 3- عدم وجود دراسة تظهر الحكمة من تقديم الموت على الحياة في القرآن الكريم.

## أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع فيما يلي:

- 1- الاشتغال بكتاب الله تعالى تأملاً وتدبراً وتفسيراً وتحليلاً.
- 2- الكشف عن أسرار التعبير القرآني الكريم، وبديع أسلوبه وتراكيبه.
- 3- بيان ما يحمله هذا التقديم من معانٍ ودلالات.

## مشكلة البحث:

تنبع مشكلة البحث في القلة النسبية للدراسات المستقلة التي تتناول الحكمة الدلالية من تقديم ما

الحمد لله الأول والآخر، المقدم والمؤخر، والصلاة والسلام على النبي العاقب الزاهر، محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الآخر.. أما بعد:

فإن من وجوه إعجاز القرآن الكريم: الإعجاز الأسلوبي، ذلك النسق البياني الفريد الذي تفرد به الكتاب العزيز؛ حيث تتجلى فيه دقة اختيار الألفاظ، وإحكام صياغة التراكيب، ومراعاة مقتضيات المقام والسياق، وقد انتظمت ألفاظه في نظام محكم، وتآلفت معانيه وفق سنن دقيقة، جعلت لكل لفظ موضعه الذي لا يستقيم المعنى بدونه، ولكل ترتيب دلالاته المقصودة وأثره البالغ في توجيه المعنى وتوضيحه.

ومن أبداع هذه الأساليب وأدقها أسلوب التقديم والتأخير، الذي يُعدّ من المسائل الدقيقة في علوم القرآن الكريم؛ لما ينطوي عليه من أسرار دلالية تتجاوز ظاهر التركيب إلى عمق المقاصد التفسيرية والسياقية، ولهذا الأسلوب أثر بيّن في إبراز المعاني، وتحقيق مطابقتها لمقتضى الحال، بما يكشف جانباً من جوانب الإعجاز البياني الذي يعجز البشر عن معارضته أو الإتيان بمثله.

وقد اعتنى علماء التفسير وعلوم القرآن بهذا الأسلوب فأفاضوا في بيان وجوهه وكشفوا عن دقائقه وعدّوه من دلائل إحكام النظم القرآني وإعجازه.

ويأتي هذا البحث ليتناول أسلوب التقديم والتأخير

عدة في مجالات شتى، في علوم القرآن والنحو والبلاغة والشعر وغيرها، أما الدراسات المتعلقة بتقديم ألفاظ معينة على الأخرى أو آيات محددة فمنها:

1- دلالة التقديم والتأخير في آيات التوحيد في القرآن الكريم، شروق ماجد المشرفاوي، مجلة جامعة سومر للعلوم الإنسانية، تحدثت الباحثة عن ظاهرة التقديم والتأخير كظاهرة نحوية ودلالاتها في التعبير عن وحدانية الله تعالى.

2- التقديم والتأخير بين مفردتي الضر والنفع في القرآن الكريم، جهاد محمد النصيرات، الجامعة الأردنية- المملكة الأردنية الهاشمية. كشف فيه الباحث عن الأغراض البيانية للتقديم والتأخير في مفردتي الضر والنفع.

3- توجيه التقديم والتأخير للفظي الإنس والجن في القرآن الكريم، استشهد أسامة حريري، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية. استنبط فيه الباحث مناسبة التقديم والتأخير للفظي الإنس والجن وأثره في التفسير، واستخرج الفوائد والهدايات من الآيات.

4- سر التقديم والتأخير كلمتي المغفرة والرحمة في القرآن الكريم -دراسة دلالية قرآنية، محمد ألفيثو راجا سياه بوترا، جامعة دار السلام -جونتور، 2025م، كشف الباحث سر تقديم المغفرة وتأخير الرحمة في خمسة مواضع في سياق اعتراف آدم عليه السلام وحواء من الذنب، وقصة موسى عليه السلام وحادثة بني إسرائيل، ودعوة صالح عليه السلام، وتوبة وإنابة نوح عليه السلام،

هو متأخر زمنًا وحكمًا في آيات الموت والحياة الواردة في القرآن الكريم، وتوجيه دلالاتها التفسيرية في إطار السياق القرآني والنظم الذي انتظمت فيه.

### تساؤلات البحث:

1- ما مقصود التقديم والتأخير في آيات الموت والحياة الواردة في القرآن الكريم.

2- ما الحكمة من تقديم المتأخر زمنًا وحكمًا في آيات الموت والحياة الواردة في القرآن الكريم.

3- هل تختلف دلالة تقديم الموت على الحياة من موضع لآخر، ومن سورة لأخرى.

### أهداف البحث:

1- إظهار الآيات التي تقدم فيها الموت على الحياة الواردة في القرآن الكريم.

2- الكشف عن أسرار الإعجاز البياني في تقديم المتأخر في آيات الموت والحياة.

3- إبراز اختلاف دلالة تقديم الموت على الحياة من موضع لآخر ومن سورة لأخرى.

### حدود البحث:

تقتصر هذه الدراسة على الآيات التي قدم فيها الموت على الحياة في القرآن الكريم.

### الدراسات السابقة:

تناول العلماء قديمًا وحديثًا موضوع التقديم والتأخير لخدمة كتاب الله تعالى في عموم سورته، وبسطوا في تفصيل مسائله وصنفوا فيه مصنفات

فيها تقديم الموت على الحياة في القرآن الكريم، واستنباط دلالة تقديم الموت على الحياة-المتأخر زمنياً أو حكماً- من خلال سياق الآيات ومعانيها.

أما المنهج: فقد سلكت في دراسة الآيات القرآنية منهج التفسير التحليلي بجمع أقوال المفسرين، والاستنباطي ببيان براعة الأسلوب ودلالته في التعبير عن المعاني.

### منهج البحث:

استخدمت المنهج الوصفي والاستقرائي والتحليلي القائم على التتبع والاستقراء والاستنباط والتحليل، إذ عمدت إلى الآيات التي قدم فيها الموت على الحياة في القرآن الكريم وعرضت أقوال المفسرين فيها واستخرجت ما فيها من دلالات وهدايات.

### إجراءات البحث:

#### تتلخص في الآتي:

1. حصر الآيات التي قدم فيها الموت على الحياة في القرآن الكريم.
2. توجيه دلالة تقديم الموت على الحياة-على ضوء أقوال المفسرين- بذكر السبب الذي يوجب اختصاص كل آية بما خالفت فيه نظائرها في مواضع شتى من القرآن الكريم.
3. في حال تعذر الجمع بين الآيات وإيجاد أوجه الدلالة، يُلجأ إلى الاستنباط والتحليل الناتجان عن التأمل والتفكير، ويصاغ التوجيه بفهم الباحثة القاصر، ثم يختم القول بعبارة (والله أعلم).

وسر تقديم الرحمة وتأخير المغفرة في ثلاثة مواضع في سياق ذكر عبادة بني إسرائيل العجل، وإحاطة علم الله في الكون، وتسبيح الملائكة واستغفارهم للمؤمنين.

5- دلالة التقديم والتأخير في آيات العمل الصالح وثوابه، علاء المولى بشرى الطائي، مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة، 2024م، أظهر الباحث أوجه الدلالة البلاغية في تقديم الثواب على العمل الصالح.

6- التقديم والتأخير في كلمة الشكر والكفر في القرآن الكريم - دراسة دلالية، رحمة هداية لوبيس، مجلة الدراسات الإسلامية 2023-م، تهدف الدراسة إلى كشف أسرار ابتداء الآيات بكلمة الشكر وانتهائها بكلمة الكفر، والعكس، واستخلاص الحكم والقيم من آيات الشكر والكفر من خلال دلالة السياق.

7- التقديم والتأخير في كلمتي العليم والحكيم في تفسير الكشاف وتفسير التحرير والتنوير-دراسة تفسيرية لغوية مقارنة.

8- التقديم والتأخير في آيات الأمن، وسن عبد الستار حمدين -مجلة فنون الفراهيدي.

وبعد البحث والتقصي لم أقف على دراسة مستقلة لتقديم الموت على الحياة، وإنما ذكر في بعض كتب التفسير وكتب البلاغة وقفات من بيان الحكم والهدايات، وتختلف دراستي عن الدراسات السابقة في المحتوى والمنهج:

أما المحتوى: فهي تختص بجمع الآيات التي ورد

4. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم ووضع أرقامها وسورها في المتن. الحكمي.
  5. تخريج الأحاديث من مظانها، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما لم أتجاوزهما إلى غيرهما مبينة اسم الكتاب والباب الذي تضمن فيه الحديث ورقم الجزء والصفحة ورقم الحديث، وإن كانت في غيرهما فإني أكتفي بذكر مصدر واحد للحديث، مع بيان حكم أهل الحديث عليه
  6. الاستعانة بكتب التفسير المختلفة بالإضافة إلى كتب اللغة والمعاجم إثراءً للموضوع.
  7. تذييل البحث بخاتمة موجزة للبحث وثبت لأهم المصادر والمراجع.
- المطلب الرابع: المقصود بالترتيب الزمني أو الحكمي.
- المبحث الثاني: المواضيع التي ورد فيها تقديم ذكر الموت على الحياة في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب.
- المطلب الأول: ما جاء من كلام الله تعالى.
- المطلب الثاني: ما جاء من كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين.
- المطلب الثالث: ما جاء من كلام المشركين.
- الخاتمة.
- فهرس لأهم المصادر.

### تقسيمات البحث:

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة.

- المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث وتساؤلاته وأهدافه، والمنهج المتبع فيه، والدراسات السابقة، وتقسيمات البحث.

- المبحث الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث، وفيه أربعة مطالب.

- المطلب الأول: تعريف التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح.

- المطلب الثاني: أهمية التقديم والتأخير.

- المطلب الثالث: تعريف الموت والحياة وحقيقتهما.

وأسأل الله ﷻ التوفيق والسداد، والهداية والرشاد، وأن يبارك لي في هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا وقدمنا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم.

### المبحث الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

### المطلب الأول: تعريف التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح.

#### التقديم في اللغة:

مصدر قَدَّمَ يُقَدِّمُ، تقديمًا وتقدمَةً، فهو مُقَدِّمٌ، والمفعول مُقَدَّمٌ، يقال: قَدَّمَ بين يديه: تقدَّم، أي: عَجَّلَ في الأمر والنهي دونه، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَأَنقُدُّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات:1] قَدَّمَ

وخلصه القول: إن التقديم في اللغة يدل على معنى جعل الشيء في المقدمة، والتأخير خلافه.

### التقديم والتأخير في الاصطلاح:

مفهوم التقديم والتأخير من المصطلحات التي تنوعت تعريفاتها لدى علماء اللغة العربية والبلاغة والنحو، كما تعددت دلالاته في مجالي التفسير وعلوم القرآن، ومن بين هذه التعريفات يمكن اعتماد ما نصّه: «جعل اللفظ في رتبة متقدمة على رتبته الأصلية أو متأخرة عنها، لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة»<sup>(3)</sup>، ويُعدّ هذا التعريف أنسب لموضوع البحث؛ إذ يعبر عن تقديم ما الأصل فيه التأخير، زمنًا وحكمًا ورتبةً، لتحقيق حكمة يفرضها المقام ويقتضيها السياق.

### المطلب الثاني: أهمية التقديم والتأخير.

يعدّ أسلوب التقديم والتأخير من أبرز الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، وهو فنّ دقيق المسلك، عميق الدلالة، تتجلى فيه روعة النظم القرآني وإحكامه، وينقسم هذا الأسلوب إلى «قسمين: أحدهما يتعلق بدلالة الألفاظ على المعاني، والآخر يتصل بتفاوت مراتب التقدّم في الذكر»<sup>(4)</sup>، وهو القسم الذي يتناوله هذا البحث، وقد جاء

الشخص غيره: جعله سابقًا، عكسه أخره، وقدم للشيء: عمل واكتسب أولاً من أجله، قال تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: 24]، وقدم بالفتح يقدّم قَدَمًا، بمعنى: تقدّم، قال الله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: 98] والقدم أيضاً: السابقة في الأمر، يقال: لفلان قدم صدق، أي أثره حسنة. قال الأخفش: هو التقدّم، كأنه قدّم خيراً وكان له فيه تقدّم.<sup>(1)</sup>

### التأخيري في اللغة:

مصدر من آخر، يقال: أخرّته فتأخّر، وأصل مادته الهمزة والخاء والراء إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم، والآخر والمتأخر: نقيض المتقدم بعد الأول، وهو صفة، تقول: جاء آخرًا، أي أخيرًا، والآخر بالفتح: أحد الشئيين، والتأخير: ضدّ التقدّم، ومؤخّر كلّ شيءٍ، بالتشديد: خلاف مقدّمه وأخرة الرحل وقادته أي: مؤخر الرحل ومقدمه.<sup>(2)</sup>

(1) ينظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، ط4، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين - بيروت، 1407هـ - 1987م، 5: 2007، عبد الحميد، أحمد مختار وآخرون، «معجم اللغة العربية المعاصرة»، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م، 3: 1784، مادة (قدم).

(2) ينظر: الجوهري، «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، 2: 576، الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين، «مقاييس اللغة» المحقق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، 1: 70، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقي، «لسان العرب»، دار صادر - بيروت، ط3 - 1414هـ، 4: 11-12، مادة (أخر).

(3) الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي، «الإكسير في علم التفسير»، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي - الدوحة، 1409هـ - 1989م، ص189.

(4) درويش، محيي الدين بن أحمد، «إعراب القرآن وبيانه»، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص - سورية، ط4، 1415هـ، 7: 25.

التقديم والتأخير في القرآن الكريم على نحو لا يُخلُّ

### المطلب الثالث: تعريف الموت والحياة وحقيقتهما.

#### تعريف الموت في اللغة:

مأخوذ من مادة (م وت)، وهي أصل صحيح يدل على ذهاب القوة من الشيء، وهو نقيض الحياة، يقال: مات يموت ويمت، فهو ميت وميت، ويقال: قوم موتى وأموات، وميتون وميتون<sup>(4)</sup>.

#### أما في الاصطلاح:

فقد عُرف الموت بأنه «انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقتها له، مع حصول الخيلولة بينهما، وهو انتقال من حال إلى حال، ومن دار إلى دار»<sup>(5)</sup>، وقيل أيضًا: «هو ترك النفس استعمال آلاتها وهي الأعضاء التي يسمى مجموعها بدنًا، كما يترك الصانع استعمال آلاته»<sup>(6)</sup>.

(3) الحري، حسين بن علي بن حسين، «قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية»، دار القاسم - السعودية، ط 2، 1429هـ - 2008م، 2: 100.

(4) ينظر: الجوهري، «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، 1: 266، ابن فارس، «مقاييس اللغة»، 5: 283، مادة (موت).

(5) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة»، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1425هـ، ص 112.

(6) مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق»، حققه: ابن الخطيب - مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، ص 218.

بأصل المعنى، ولا يُضعف البيان، ولا يوقع السامع في لبس؛ إذ إن السياق وقرائن الكلام كفيلة بتحديد المقصود وإيضاح المراد، وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية: «التقديم والتأخير على خلاف الأصل، فالأصل إقرار الكلام على نظمه وترتيبه لا تغيير ترتيبه، وإنما يجوز التقديم والتأخير مع القرينة»<sup>(1)</sup>. وتتعدد الدواعي البلاغية لهذا الأسلوب بحسب المقام والسياق، ومن ذلك: «التخصيص والحصر، وسلب العموم أو عموم السلب، والتعجب الإنكاري، والتشويق إلى المؤخر»<sup>(2)</sup>، بالإضافة إلى إبراز المعنى وتوكيده، والعناية والاهتمام.

وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن الغاية في الإتقان؛ إذ وضعت الألفاظ في مواضعها التي تليق بها أبلغ وضع، فجاء نظمه بالغ الدقة في تنسيق الألفاظ ورفضها جنبًا إلى جنب، ولم يقف هذا الإحكام عند حدود الموضوع الواحد، بل راعي السياق العام للفظ في جميع مواقعها القرآنية، فنظر إليها نظرة شاملة متكاملة، فجاء التعبير القرآني منسجمًا متناسقًا، كأنه لوحة فنية واحدة

(1) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني، «دقائق التفسير الجامع لتفسير»، المحقق: محمد السيد، مؤسسة علوم القرآن - دمشق، ط 2، 1404هـ، 6: 123.

(2) السراج، محمد علي، «اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل»، دار الفكر - دمشق، ط 1، 1403هـ - 1983م، ص 164.

تقتضي الحس والحركة»<sup>(3)</sup>.

يتبين مما سبق أن حقيقة الموت لا تكون إلا بعد حياة، وأن الموت والحياة صفتان وجوديتان، لا عدميتان، وهذا هو التحقيق، وعليه ذهب الجمهور من أهل السنة<sup>(4)</sup>؛ لأنهما من خلق الله تعالى، كما دلّ عليه قوله ﷺ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: 2]؛ إذ إن العدم لا يوصف بالخلق، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه. ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح..»<sup>(5)</sup>.

ويقع الموت على أنواع متعددة تبعاً لتنوع مظاهر

(3) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي، «الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية» تحقيق: عدنان درويش وآخرون، مؤسسة الرسالة - بيروت، ص 406.

(4) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، «مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير»، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 3 - 1420هـ، 30: 579، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، ط 1، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ، 15: 5.

(5) صحيح البخاري/ كتاب تفسير القرآن/ سورة كهيعص 6/ 93، برقم (4730)، عن أبي سعيد الخدري

فهو نقص البنية لجسم الإنسان بخروج الروح الباعثة للحياة وانفصالها من جسد الإنسان، وإذا انفصلت الروح توفيت النفس أيضاً وتحول الجسد إلى بدن، فيحول البدن جسد بلا روح ولا نفس، كما قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ﴾ [يونس: 92].

### والحياة في اللغة:

ضد الموت، وأصل بنائها (حياة)، غير أن الواو والياء إذا اجتمعتا وسكنت الأولى منهما قلبت ياءً مشددة، فيقال: حي يحيها فهو حي، ويُقال للجمع: حيّوا، والمحيا اسم مكان أو مصدر ميمي من الحياة، والجمع محايي، والحيوان يطلق على كل ذي روح، ويستوي فيه الواحد والجمع، كما أن لفظ الحية مشتق من الحياة<sup>(1)</sup>. فالحياة تبدأ بنفخ الروح في البدن.

### لذلك عُرِّفَت الحياة في الاصطلاح:

بأنها «صفة توجب للموصوف بها أن يعلم ويقدر»<sup>(2)</sup>، وقيل: هي «عبارة عن قوة مزاجية

(1) ينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، «العين» المحقق: مهدي المخزومي، وآخرون، دار ومكتبة الهلال، 3: 317، بن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، «المحكم والمحيط الأعظم»، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1421هـ - 2000م، 3: 395، مادة (حيو).

(2) الجرجاني علي بن محمد الزين الشريف، «التعريفات»، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 1، 1403هـ - 1983م، ص 94.

الحياة، ومن ذلك:

أجلها ﴿المنافقون: 11﴾.

وعليه، فالموت حكم إلهي، قضى الله ﷻ به على خلقه، وليس فساداً للنفس من حيث جوهرها، وإنما هو فساد للتركيب الجسدي، أما جوهر النفس، وهو حقيقة الإنسان ولبه، فباقٍ غير مادي، ولا تلحقه أعراض الأجسام، والله تعالى هو القاهر فوق عباده، وهم تحت قهره وسلطانه، ضعفاء لا يملكون لأنفسهم قوة ولا نصراً، وكل نفس من أنفاسهم مقدرة بقدر الله تعالى، يُوقفها متى شاء، بهذا اليقين تستقر في القلوب حقيقة الموت والحياة.

### المطلب الرابع: المقصود بالترتيب الزمني أو الحكمي.

#### يُراد بالترتيب الزمني:

ترتيب الأحداث أو الأفعال وفق تسلسل وقوعها في الزمن، وذلك بحسب أسبقيتها وتأخرها، من الأقدم إلى الأحدث، اعتماداً على وقت حدوثها الفعلي.

#### أما الترتيب الحكمي:

فيُقصد به الحكم القدري الكوني، القائم على ما قضاه الله تعالى وقدره من شؤون الخلق، وما يجري على الإنسان من أحوال وأقدار؛ إذ تقع جميعها وفق نظامٍ محكم، وتسلسلٍ مقدر لا يتخلف، ومن ذلك مثلاً: الحياة والموت، فإذا قضى الله تعالى لمخلوقٍ بالحياة، محالٌ عقلاً وشرعاً أن يقدر عليه الموت قبلها؛ بل تسبق الحياة الموت زمناً وحكماً، فيحيا الإنسان إلى أجلٍ مسمى قدره الله له، ثم إذا انتهى أجله أتته منيته فيموت، وأما تقديم ذكر

-زوال القوة النامية، وهي الموجودة في الإنسان والحيوان والنبات، كقوله تعالى: ﴿وَيُحْي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: 19]، وقوله: ﴿وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَّةٍ مَيِّتًا﴾ [ق: 11].

-زوال القوة الحاسة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ يَلَيَّتِنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا﴾ [مريم: 23].

-زوال القوة العاقلة، وهو ما يُعبر عنه بالجهل والضلال، كقوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: 122].

-الحزن الشديد المكدر للحياة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: 17].

-النوم، وقد وُصف بأنه موت خفيف، في مقابل الموت الذي هو نوم ثقيل، ولهذا سمى الله ﷻ كليهما توقيماً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: 60]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: 42] (1).

وقد أولى القرآن الكريم عناية بالغة ببيان حقيقة الموت والحياة؛ لما في ذلك من ترسيخ التعلق بالله تعالى، ورجاء لقاءه، والخوف من عذابه، والاطمئنان إلى قضائه وقدره، قال تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ

(1) ينظر: الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب، «المفردات في غريب القرآن»، ط1، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، - 1412هـ، ص781.

الموت على الحياة في بعض المواضع، فذلك لحكمة إلهية ومعنى بليغ يقتضيه المقام.

«والأصل في نظام الكلام أن يُقدّم ما حقه التقديم، ويُؤخّر ما حقه التأخير، ولا يُعدل عن هذا الأصل إلا لدليلٍ معتبر يُسلم له»<sup>(1)</sup>، ولما كانت الألفاظ قوالب المعاني، وكان بعضها أبلغ دلالةً من بعض، حُسن تقديم ما حقه التأخير إذا اقتضى ذلك مقام الخطاب، تحقيقاً لمطابقة الكلام لمقتضى الحال، وعلى هذا تقرر القاعدة: «التقدم في الذكر لا يعني التقدم في الوقوع أو الحكم»<sup>(2)</sup>، فقد يُذكر المتقدم لفظاً وهو متأخر زمنياً أو حكماً.

وقد ورد في القرآن الكريم تقديم بعض الألفاظ وتأخيرها على خلاف الأصل، لا عبثاً ولا اضطراراً، وإنما لتحقيق الغاية التي نزل من أجلها القرآن الكريم، في إعجازه البياني، وإيقاظه للنفوس، وتربيته للإنسان تربيةً شاملةً تمس العاطفة والعقل معاً.

الردّ على الكفار، وإقامة البرهان على بطلان قولهم وتكذيبهم، وابتدأت بالاستفهام ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾، وفي معناه قولان: أحدهما: أنه استفهام في معنى التعجب، وهذا التعجب للمؤمنين، أي: اعجبوا -أيها المؤمنون- من هؤلاء كيف يكفرون؟ وقد ثبتت حجة الله عليهم، فكأنه قال: أتكفرون بالله وفيكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان؟<sup>(3)</sup>، فهو أسلوب يقتضي التعجب من كفرهم، مع وجود النعم التي تقتضي الشكر، بدلاً من الكفر! والثاني: أنه استفهام خارج مخرج التقرير والتوبيخ، تقديره: ويحكم كيف تكفرون بالله! أي: كيف تكفرون نعمةً عليكم وقدرته هذه؟<sup>(4)</sup>.

وقوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ فيه تعداد للنعم الرادعة عن الكفر، الباعثة على الإيمان، ومعنى الآية: كيف تكفرون بالله، والحال أن له شؤوناً معكم، تقتضي تفرده ﷻ بالألوهية دون سواه، {فقد كنتم أمواتاً} على إضمار (قد) وحذفت لما في الكلام من الدليل عليها<sup>(5)</sup>.

## المبحث الثاني: المواضع التي ورد فيها تقديم ذكر الموت على الحياة في القرآن الكريم.

### المطلب الأول: ما جاء من كلام الله تعالى:

الموضع الأول: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28] وردت هذه الآية في سياق

(3) ينظر: الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، «معاني القرآن وإعرابه» ط1، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، 1408هـ - 1988م، 1: 107.

(4) ينظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، «معاني القرآن»، ط1، المحقق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، 1: 23.

(5) ينظر: الفراء، «معاني القرآن»، 1: 24، الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، «جامع البيان عن تأويل آي

(1) الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، «فصول في أصول التفسير»، دار ابن الجوزي، ط2، 1423هـ، ص143.

(2) السبت، خالد بن عثمان، «مختصر في قواعد التفسير»، دار ابن القيم - دار ابن عفان، ط1، 1426هـ / 2005م، ص13.

ابن عباس وابن مسعود<sup>(2)</sup>. وإليه ذهب ابن عطية حيث قال: «وهذا القول هو المراد بالآية، وهو الذي لا محيد للكفار عنه لإقرارهم بهما، وإذا أذعنت نفوس الكفار لكونهم أمواتاً معدومين، ثم للإحياء في الدنيا، ثم للإماتة فيها قوي عليهم لزوم الإحياء الآخر وجاء جدهم له دعوى لا حجة عليها»<sup>(3)</sup>.

الثاني: أن قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ يعني: في القبور ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ لسؤال الملكين، ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ في قبوركم بعد مساءلتكم، ثم يحييكم عند نفخ الصور للنشور، وهذا قول أبي صالح، واستبعده ابن جرير الطبري: لأن التوبيخ هنالك -أي في القبور- إنما هو توبيخ على ما سلف وفرط من إجرامهم، لا استعتاب واسترجاع، وقوله ﷻ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ توبيخ مستعيب عباده، وتأنيب مسترجع خلقه من المعاصي إلى الطاعة، ومن الضلالة إلى الإنابة، ولا إنابة في القبور بعد الممات، ولا توبة فيها بعد الوفاة.

الثالث: أن قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ يعني: في أصلاب آبائكم نطفة ميتة، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ أي: فأحياها بنفخ الروح فيها، فجعلها بشراً سوياً، فأخرجكم من بطون أمهاتكم، ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ الموتة التي لا بد منها بقبض الروح منه، فهو ميت إلى يوم ينفخ في

فإن قيل: كيف تعدد الإماتة من النعم المقتضية للشكر؟ يجاب عنه: بأنها لما كانت وصلة للحياة الدائمة التي هي الحقيقية كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ أَلَدَارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: 64] يعني: الحياة، كانت من النعم العظيمة، فجعل الموت إنعاماً كما جعل الحياة إنعاماً؛ لأنه لما كانت الحياة الأخرى نعمة لا وصول إليها إلا بالموت، كان الموت نعمة؛ ولأن السبب الذي يتوصل به إلى النعمة نعمة، فإنه ﷻ لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الإيمان وأوعدهم على الكفر، أكد ذلك بأن عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستبعد صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة، فإن عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم<sup>(1)</sup>.

واختلف أهل التأويل في تفسير هاتين الموتتين والحياتين، ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ ثم ﴿يُمَيِّتُكُمْ﴾، وكم من موتة وحياة للإنسان؟ على عدة أقوال:

أحدها: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ أي: لم تكونوا شيئاً، كنتم أمواتاً معدومين قبل أن تخلقوا ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ أي: خلقكم، ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يوم القيامة، وهذا قول

القرآن، «دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب:

427، 1: ٧٧٨٠.

(1) الخطيب الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الشافعي، «السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير»، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، ١٢٨٥هـ، 1: 42.

(2) ينظر: الطبري، «جامع البيان»، 1: 418.

(3) بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، «التحرير والتنوير» تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، «الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ، 1: 373.

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال عدا الثاني والرابع: «أي: أموات الذكر، خمولاً في أصلاب آبائكم نطقاً، لا تُعرفون ولا تُذكرون: فأحياءكم بإنشاءكم بشراً سويّاً حتى ذُكرتم وعُرفتم وحييتهم، ثم يُميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رُفأً لا تُعرفون ولا تُذكرون في البرزخ إلى يوم تبعثون، ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة»<sup>(3)</sup>.

فيكون الخطاب للكفار عامة وللمؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبديد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور الكفر منكم وكنتم أمواتاً أي: جهالاً فأحياءكم بما أفادكم من العلم والإيمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم إليه ترجعون.

وعُطف ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بالفاء؛ لأن الإحياء الأول إثر العدم تعقب الموت ولا تراخي بينهما، وعطف بثم {ثم يميتكم} لتراخي الموت عن الإحياء و﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ وكذلك الإحياء الثاني مترخ عن الموت إذ المراد به البعث والنشور، فالتراخي بينهما تراخيّاً ظاهراً<sup>(4)</sup>.

### وفي تقديم ذكر الموت على الحياة دلالات وإشارات عديدة:

1. يفيد تقديم الموت على الحياة في الخطاب الإلهي

(3) الطبري، «جامع البيان»، 1: 424.

(4) ينظر: ابن جزري، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي، «التسهيل لعلوم التنزيل»، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت - ط1 - 1416هـ، 1: 78.

الصورة، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ فيرد في جسده روحه، فيعود حياً للبعث يوم القيامة، قاله قتادة.

الرابع: أن قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ يعني: أن الله ﷻ حين أخذ الميثاق على آدم وذريته، أحياءهم في صلبه وأكسبهم العقل وأخذ عليهم الميثاق، ثم أماتهم بعد أخذ الميثاق عليهم، ثم أحياءهم وأخرجهم من بطون أمهاتهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: 6] فقوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ يعني بعد أخذ الميثاق، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بأن خلقكم في بطون أمهاتكم ثم أخرجكم أحياء، ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ بعد أن تنقضي آجالكم في الدنيا، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالنشور للبعث يوم القيامة، وهذا قول ابن زيد.

وهذا المعنى خلاف لظاهر الآية، وذلك أن الله ﷻ أخبر في كتابه - عن الذين أخبر عنهم من خلقه - أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَنا وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْتَنا﴾ [غافر: 11]، وبناء على قول ابن زيد في تفسيره أن الله ﷻ أحياءهم ثلاث إحياءات، وأماتهم ثلاث إحياءات<sup>(1)</sup>.

الخامس: أن قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ خايلي الذكر دارسي الأثر، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بالظهور والذكر، ﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث<sup>(2)</sup> وهو أشبه بالقول الأول.

(1) ينظر: الطبري، «جامع البيان»، 1: 419 - 423.

(2) ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، «النكت والعيون»، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، 1: 91.

الموت أو سقط علي»<sup>(1)</sup>، وكانوا يتوقعونه ويرون أنهم في حبس فينتظرون المبشر بإطلاقهم. والله أعلم.

**الموضع الثاني:** قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 122] هذا مثل ضربه الله تعالى في وصف حال الكافر وحال المؤمن قبل أن يمن الله ﷻ عليهم بنور الإيمان، ليتبين الفرق بينهما، فالكافر ميت في دينه وفيه روح، والمؤمن حي في دينه بالإسلام.

قوله: ﴿أَوْ مَن﴾ الهمزة للاستفهام والتقرير، ﴿كَانَ مَيِّتًا﴾ المؤمن كان ميتاً في الضلالة هالكا حائراً، ﴿فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ أي: فهده الله تعالى واجتباها بالإيمان وجعل له نوراً يهتدي به سبل الخير والنجاة، هل يستوي حاله ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: كحال من كان غارقاً في الكفر والجهالات والضلالات، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ أي: هو متحير ومتردد فيها، ومستمر عليها، لا يبصر رشداً، ولا يعرف حقاً، كالذي ضل طريقه في ظلمة الليل، فلا يجد مخرجاً، ولا يهتدي طريقاً، وشبه الكفر بالظلمة؛ لأن صاحبه في حيرة تفضي به إلى الهلكة كحيرة الماشي في الظلمة.

فهل يستويان مثلاً، لا يستويان، فاستعير الموت مكان الكفر، والحياة مكان الهداية، والتور مكان الإيمان، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيَابُ﴾

(1) ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، «التوضيح لشرح الجامع الصحيح»، المحقق: خالد الرباط، دار النوادر، دمشق - سوريا، ط1، 1429 هـ - 2008 م، 20: 478.

الإشارة إلى جلال القدرة الإلهية وعظيم سلطانها؛ إذ يُعدّ الموت سُنة إلهية لازمة لا مهرب منها، وتجلياً من تجليات القهر الإلهي الواقع على الخلق كافة.

2. الاستدلال العقلي بربوبية الله تعالى على ألوهيته، فمن أفعال الله تعالى الدالة على ربوبيته الموجبة لاستحقاقه للعبودية الخلق والإماتة والإحياء والبعث، فلا وجه للكفر بالله تعالى بعد معاينة دلائل قدرته.

3. إلزام منكري البعث بالحجة القاطعة على إمكانية البعث، فالقادر على إحيائهم من العدم (الموتة الأولى) قادر على إحيائهم بعد الموت (الموتة الثانية) للبعث والجزاء.

4. أن أصل نشأة الإنسان وأطوار خلقته تبدأ بمرحلة العدم وهو (الموت) قبل وجوده وهو (الحياة)، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1]

5. التذكير بنعم الله تعالى، إذ امتن على عباده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، فلولا فضل الله عليهم ورحمته لظل البشر في سكون الجمادات وسبات الأموات.

6. التنبيه على أنه يتوصل بالموت إلى الحياة الحقيقية، وكونه ذريعة إلى السعادة السرمدية، لذلك لم يكن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة ﷺ يخافونه، بل إن علي بن أبي طالب ﷺ كان يقول: «والله ما أبالي سقطت على

وَأَنَّ كُتُبَهُ مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الصَّكَايِنِ ﴿١﴾ [البقرة: 198]، وقوله ﷻ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: 7]. فالمؤمن قد أحياه الله تعالى بنور الإيمان والعلم، في حين يظل الكافر متخبطًا في ظلمات الكفر والضلالة، عاجزًا عن الخروج منها.

3. تنبيه العقول إلى التفكير والتدبر في التباين الجوهرى بين حال الكافر وحال المؤمن، فعلى الرغم من اشتراكهم في مظاهر الحياة الحسية— كنبض الأرواح وسريان الدم في العروق— إلا أن الكافر في حكم الميت؛ لأن الحياة الحقيقية إنما هي حياة القلب بالإيمان، لا مجرد حياة الجسد.

4. التحذير والتنفير من حال الكافرين، والتنبيه إلى خطورة ضلالتهم وجهالاتهم، وما يترتب عليها من آثار عقديّة وسلوكية. والله أعلم.

الموضع الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ [النجم: 44]

وردت هذه الآية في سياق الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى وتفرد بالربوبية واستحقاقه للألوهية، وتوكيداً على البعث والجزاء، ففي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي﴾ [النجم: 43] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ [النجم: 44] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: 48]، «لما كان قد يدعى ذلك بعض الناس، كقول نمرود: ﴿أَنَا أُحْيَىٰ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: 258]، احتيج إلى تأكيد في أن ذلك إنما هو لله لا غيره، فهو الذي يضحك ويبكي، وهو الميت المحيى، والمغنى، والمقنى حقيقة، وإن ادعى ذلك أحد فلا حقيقة له» (3).

﴿وَلَا آلَ أَمْوَاتٍ﴾ [فاطر: 22] أي: لا يستوي المؤمن ولا الكافر (1).

وقيل: أن المراد به النبي ﷺ وأبو جهل بن هشام، فالنبي ﷺ هُدِيَّ وَأُعْطِيَ نُورَ الْإِسْلَامِ وَالتُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةَ، وَأَبُو جَهْلٍ فِي ظِلْمَاتِ الْكُفْرِ (2).

ويجوز أن تكون الآية عامّة لكل من هداه الله ولكل من أضله الله، فأعلم الله ﷻ أَنَّ مَثَلِ الْمُهْتَدِيِّ مَثَلُ الْمَيْتِ الَّذِي أُحْيِيَ وَجُعِلَ مُسْتَضِيئًا يَمْشِي فِي النَّاسِ بِنُورِ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ، وَمَثَلِ الْكَافِرِ مَثَلِ مَنْ هُوَ فِي الظُّلْمَاتِ لَا يَتَخَلَّصُ مِنْهَا.

### ودل تقديم ذكر الموت على الحياة على فوائد عظيمة، من أبرزها ما يلي:

1. أن معنى الموت ليس محصوراً في انقطاع الروح عن الجسد، بل من معانيه زوال القوة العاقلة، وهو الجهل والضلال المراد به في الآية.

2. بيان حال الناس في الأصل- مؤمنهم وكافرهم- قبل بزوغ نور الإسلام وظهور هداية الوحي؛ إذ كانوا يعيشون في ظلمات الجهل والضلال، فكانهم أموات، والموت هنا مجازي لا حقيقي، لانتهاء النفع المقصود من الحياة، فالحياة التي تخلو من الهداية أشبه بالعدم، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْنَاكُمْ﴾

(1) ينظر: الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، ط1، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، 1436 هـ

- 2015 م، 12: 198-199.

(2) ينظر: الزجاج، «معاني القرآن»، 2: 288.

وكرر الإسناد «هو» للحصر، ومعنى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ﴾ أي: وأنه هو. وأيقظ. وقيل: أمات في الدنيا وأحيا للبعث<sup>(3)</sup>.  
 أنه ﷺ فعل ذلك لا غيره ﷺ، حتى لا يتوهم إسناد ذلك لغير الله ﷻ ولا الشراكة فيه، فلا يقدر على الإماتة والإحياء غير الله ﷻ، والقاتل إنما ينقض البنية الإنسانية ويفرق أجزاءها، والموت الحاصل بذلك فعل الله ﷻ على سبيل العادة في مثله<sup>(1)</sup>.

### ومن أبرز دلالات تقديم ذكر الموت على الحياة ما يلي:

1. بيان قدرة الله تعالى على الإماتة والإحياء، وإظهار بديع حكمته على هذا الصنع الحكيم، فهو ﷻ المنفرد بالعدم والإيجاد، فلا يملك هذه القدرة إلا الله ﷻ، وإن تعددت الأسباب واختلفت، فالموت الحاصل إنما هو من فعل الله تعالى.

2. التعريض بالاستدلال على كيفية البعث وإمكانه،

(3) ينظر: القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، «الجامع لأحكام القرآن» ط2، تحقيق: أحمد البردوني وآخرون، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1384هـ - 1964م، 17: 117، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، ط4، المحقق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ - 1997م، 7: 418، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، «زاد المسير في علم التفسير»، ط1، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت - 1422هـ، 4: 194.

(4) ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ط1، المحقق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م، ص 822.

وقد تنوعت عبارات المفسرين في معنى قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ﴾، «هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا» فقول: «أَمَاتَ مَنْ مَاتَ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَحْيَا مَنْ حَيَا مِنْهُمْ، بِنَفْخِ الرُّوحِ فِي النُّطْفَةِ الْمَيْتَةِ، فَجَعَلَهَا حَيَّةً بِتَصْيِيرِهِ الرُّوحَ فِيهَا»<sup>(2)</sup>، وقيل: «قضى أسباب الموت والحياة، وقيل: خلق الموت والحياة كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: 2]، وقيل: أمات الكافر بالكفر وأحيا المؤمن بالإيمان، قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: 122]، أي: أمات الكافر بعدله، وأحيا المؤمن بفضله. وقيل: أمات النطفة وأحيا النسمة. وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء. وقيل: يريد بالحياة الخصب وبالموت الجذب. وقيل: أنام

الأندلسي، «البحر المحيط في التفسير»، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت - 1420هـ، 10: 26.

(1) ينظر: البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، المحقق: محمد المرعشي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1 - 1418هـ، 5: 161، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، ط1، المحقق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية - بيروت، 14: 67-68.

(2) الطبري، «جامع البيان»، 22: 548.

ثم شرع في تفصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة المبنية على قوانين الحكيم الجليلة والمصالح العظيمة، فقال ﷺ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ وأصل الخلق التقدير، ويأتي بمعنى: الإيجاد<sup>(3)</sup>، ومعنى الآية: الذي أوجد الموت الحياة وأزالهما حسبما قدره<sup>(4)</sup>، فأما مَنْ شاء وما شاء، وأحياناً مَنْ أراد وما أراد إلى أجل مسمى<sup>(5)</sup>، وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ دليل على الحكمة من خلق الموت والحياة، ومعنى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم، والاختبار من الله ﷻ، هو إظهار ما يعلم من خلقه<sup>(6)</sup>، والمعنى: ليختبركم فيعلم أيكم أحسن عملاً، وقد علم الله ﷻ ما وقع، وعلم ما يكون منهم إلا أنّ الجزاء يجب بوقوع العمل منهم<sup>(7)</sup>، وقال ﷺ: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ولم يقل: أكثر عملاً؛ لأن العبرة بالإحسان في العمل لا بكثرته، وقد بين النبي ﷺ معنى الإحسان في حديث جبريل ﷺ المشهور حينما سأله: «ما

حيث أنكره المشركون، وقد شاهدوه عياناً في خلق أنفسهم.

3. الرد على المشركين في قولهم: ﴿وَمَا يَهْدِيكُمْ إِلَّا إِلَهَ الْأَدْهَرُ﴾ [الجاثية: 24]، وعطف بقوله: ﴿وَأَحْيَا﴾ تميم واحتراس، كما في قوله ﷺ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: 2].

4. رعاية الفاصلة القرآنية، وهي الكلمة الأخيرة في الآية، كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: 43]<sup>(1)</sup>.

5. العبرة بالإماتة؛ لأنها أوضح عبرة، وأزجر موعظة، فالموت له هيئة تخضع لها الرؤوس، وتنحني لها الظهر، وله رهبة تخشع لها النفوس، وترجف منها القلوب.

الموضع الرابع: في قوله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: 1-2] في مطلع السورة عملاً وهو العزيز الغفور ﷻ [الملك: 1-2] في مطلع السورة الكريمة يمجّد الله ﷻ نفسه، ويخبر أنه ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾، ملك الدنيا والآخرة وسلطانها، نافذ فيهما أمره وقضاؤه، فهو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله، ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: وهو على ما يشاء فعله ذو قدرة لا يمنعه من فعله مانع، ولا يحول بينه وبينه عجز<sup>(2)</sup>.

ساي بن محمد السلامة، دار طبية للنشر والتوزيع، 197. 8: 1999م - 1420هـ.

- (3) ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر»، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م، ص283، الكفوي، «الكليات»، ص430.
- (4) ينظر: البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، 5: 228.

(5) ينظر: الطبري، «جامع البيان»، 23: 505.

(6) ينظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، «بحر العلوم»، 2: 139.

(7) ينظر: الزجاج، «معاني القرآن»، 5: 197.

(1) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، 27: 144.

(2) ينظر: الطبري، «جامع البيان»، 23: 505، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، «تفسير القرآن العظيم»، ط2، المحقق:

- الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك<sup>(1)</sup>، فلا طريق إلى الإحسان في العمل الذي خلق الإنسان من أجله إلا بمراقبة الله ﷻ، واستشعار علمه المحيط بكل شيء، وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: «وهو القوي الشديد انتقامه ممن عصاه، وخالف أمره ﴿الْفُؤْرُ﴾ ذنوب من أناب إليه وتاب من ذنوبه»<sup>(2)</sup>.
3. أن الموت أدعى إلى حسن العمل، وإخلاصه وإتقانه، « فأقوى الناس داعياً إلى العمل من نصب موته بين عينيه»<sup>(6)</sup>.
4. التزهيد في الدار الفانية والترغيب فيما بعد الموت، والتنبيه إلى أن الموت سبيل إلى بلوغ الحياة الحقيقية؛ إذ إن حياة الإنسان في الدنيا ما هي إلا متاع الغرور، ومآلها إلى الزوال بالموت، ولا تتحقق الحياة الحقيقية إلا فيما بعده؛ لذلك عُدَّ الموتُ نعمةً من حيث كونه معبراً إلى تلك الحياة الباقية.

### ودل تقديم ذكر الموت على الحياة على دلالات وحكم عظيمة:

1. أن الإمامة مظهر عظيم من مظاهر القدرة الإلهية، وفيها يتجلي وصف القادر القاهر، أما الإحياء فهو من مظاهر وصف القادر، لكن مع وصفه المنعم، فمعنى القدرة في الإمامة أظهر وأقوى لذلك قدم<sup>(3)</sup>.
2. أن الموت أقرب إلى القهر، ففيه قهراً للخلق والمقام يقتضيه<sup>(4)</sup>، قال قتادة: «أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة، ودار فناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء»<sup>(5)</sup>.
5. تقدم الموت في الوجود، إذ خلق أولاً فهو الأقدم، وذلك لأن أصل الأشياء عدم الحياة، والحياة عارضة لها، فالأشياء في الابتداء كانت في حكم الموات، كالنطفة والتراب، ونحوهما، ثم اعترضت عليها الحياة<sup>(7)</sup>.
6. أن الموت هو أول مرحلة من مراحل خلق الإنسان، إذ كان قبل نفخ الروح فيه ميتاً لعدم الروح، فالموت يسبق الحياة في مرحلة الأصلاح كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: 28].

(1) صحيح مسلم/ كتاب الإيمان/ باب الإيمان ما هو وبيان خصاله/ 1: 28، برقم (8) عن عمر بن الخطاب

ﷺ

- (2) الطبري، «جامع البيان»، 23: 505.
- (3) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، 29: 13.
- (4) ينظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، «فتح القدير»، 1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت - 1414هـ، 5: 308.
- (5) الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليمني، «تفسير عبد الرزاق»، دار الكتب
- العلمية، تحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، 1، سنة 1419هـ، 3: 325، الطبري، «جامع البيان»، 23: 505.
- (6) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل»، 3، دار الكتاب العربي - بيروت - 1407هـ، 4: 575.
- (7) ينظر: الشوكاني، «فتح القدير»، 5: 308.

7. أن التقديم للتنبيه وللإهتمام والاستعداد للموت؛ لأن أكثر الناس يغفلون عن الموت، وأما الحياة فهي شغلهم الشاغل، وهمهم الأكبر. والله تعالى أعلم.

1. إظهار كمال القدرة الإلهية، وكمال عجز المعبودات؛ إذ لا تملك شيئاً من خصائص الربوبية والألوهية.

2. الاستدلال على انفراد الله تعالى بالإماتة والخلق والبعث والنشور؛ لأن نفيها عن الأصنام يقتضي إثبات حقيقة الأمر لله تعالى؛ إذ الأكثر في كلام العرب أن نفي الشيء يقتضي تحقق ماهيته.

3. بيان أن الموت أشد رهبة وأعظم زجراً على النفوس، فتقديم ما هو أصعب وأشد في مقام الوعظ والتهديد يُعد أبلغ في إظهار الضعف والامتنان على الخلق، وهو منهج قرآني للتعاطف والاستعداد للحياة الآخروية.

4. قطع تعلق الإنسان بغير الله تعالى، إذا تيقن أن الأمر كله بيده ﷺ لا يبيده هذه الأصنام والأوثان.

5. اعتبار الموت مرحلة فاصلة بين الحياة الدنيا ومرحلة البعث والنشور، ومن ثم فإن تقديمه في السياق يُوافق الترتيب الزمني لانتقال الإنسان بين أطوار وجوده، إذ ينتقل من العدم إلى الحياة، ثم إلى الموت، فيإلى النشور. والله أعلم.

6. أن قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ في مقابلة قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾

(1) ينظر: ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، 6: 85، الشوكاني، «فتح القدير»، 4: 71.

الموضع الخامس: في قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِيءِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:

3] في هذه الآية تشنيع على المشركين في اتخاذهم معبودات من دون الله ﷻ، وتصريح بتزييف مذاهب عبدة الأوثان، وتعجيب لأولى التهي من حالهم، وتنبيه إلى خطأ أفعالهم، وتسفيه لأحلامهم،

فقال ﷻ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِيءِ﴾، والضمير في اتخذوا للمشركين وإن لم يتقدم لهم ذكر؛ لدلالة نفي الشريك عليهم، أي: اتخذ المشركون لأنفسهم آلهة ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ أي: لا يقدرون على خلق شيء من الأشياء، وعبر عن الآلهة بضمير العقلاء جرياً

على اعتقاد الكفار أنها تضر وتنفع؛ لأن في معبودات الكفار: الملائكة، وعزير، والمسيح ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: يخلقهم الله ﷻ، وقيل: معنى ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أن عبدتهم يصورونهم، ثم لما وصف ﷻ نفسه بالقدرة

الباهرة، وصف آلهة المشركين بالعجز البالغ فقال: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: لا يقدرون على أن يجلبوا لأنفسهم نفعاً ولا يدفعوا عنها ضرراً، ثم زاد في بيان عجزهم فنص على هذه الأمور فقال:

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ أي: لا يقدرون على إماتة الأحياء، ولا إحياء الموتى، ولا بعثهم من القبور، ومن كان كذلك فكيف يسمى إلهاً، وتُعطى

له خصائص الآلهة من الخضوع لعظمته والإخبارات لجلاله؟ فالأمر كله مرجعه إلى الله الذي لا إله غيره

الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ [الأعلى: 11-13] يبين الله تعالى في هذه الآية عاقبة هذا الأشقي المعاند الذي لا يلين قلبه للذكرى، ومآل أمره، فقال: ﴿الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى﴾ أي: الذي يدخل النار العظمى؛ لأن نار الدنيا هي النار الصغرى ونار الآخرة هي النار الكبرى، ثم قال: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ أي: لا يقف عذابه عند غاية، ولا يجد لآلامه نهاية، فلا هو يموت فيستريح، ولا يحيا الحياة الطيبة فيسعد بها<sup>(3)</sup>، وحيء به {ثم} للتراخي بين الرتب في الشدة<sup>(4)</sup>؛ لأن التردد في النار بين الموت والحياة أفضح من نفس الصلي والإحراق بالنار، بمعنى: ثم باستمرار العذاب عليه يصبح في حال من الشدة لا يموت فيها ولا يحيا.

### وفي تقديم ذكر الموت على الحياة حكم وإشارات بليغة:

1. أن نفي الموت بمعنى نفي الراحة واستمرار العذاب، فقدم نفي الموت ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ لقصده إزالة أمل الكافر في الراحة السرمدية من العذاب، فلا يهلك ويستريح ولا يحيا حياة تنفعه، كما قال ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر: 36]

2. التأكيد على سوء حال الكافر في نار جهنم، وأنه

(3) ينظر: السمرقندي، «بحر العلوم»، 3: 571، المراغي، أحمد بن مصطفى، «تفسير المراغي»، مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ-1946م، 30: 126-127.

(4) ينظر: الخطيب الشربيني، «السراج المنير»، 4: 523.

[الفرقان: 2] وأعظم مظاهر تقدير الخلق هو مظهر الموت والحياة، وذلك من المشاهدات<sup>(1)</sup>.

7. رعاية تناسب الآيات، في قوله ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِيَّ ءَالِهَةً لَا يُخْلِقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ فقد اتفقت هذه الجمل المعطوفات في انطواء كل جملة منها على متقابلين متضادين، وبنى مجموعها على تقديم النفي على الإثبات وتأخير أشرف المتقابلين، ففي الأولى: عطف عدم الخلق مقابلاً للخلق، فقوله: ﴿لَا يُخْلِقُونَ شَيْئًا﴾ نفي، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ إثبات، فقدم النفي على الإثبات، وأخر الخلق؛ لأنه أشرف، وفي الثانية: ﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ وكان الضر نفيًا، والنفع إثباتًا؛ إذ النفع إثبات المصالح وإيجادها، والضر نفيها، وأخر النفع لأنه أشرف، وفي الثالثة: ﴿مَوْتًا وَلَا حَيَاةً﴾ فالموت نفي والحياة إثبات، وأخرت الحياة؛ لأنها أشرف فروعها فيها تناسب الآيات في التقديم والتأخير<sup>(2)</sup>.

### الموضع السادس: في قوله تعالى: ﴿وَيَنْجِبَهَا﴾

(1) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، 18: 320.

(2) ينظر: الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، «درة التنزيل وغرة التأويل»، تحقيق: محمد مصطفى، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط1، 1422هـ-2001م، 1: 958، الغرناطي، أحمد بن إبراهيم الثقفي أبو جعفر، «ملاك التأويل القاطع بزوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه للفظ من آي التنزيل»، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2: 279.

القدرة والسلطان، وله الدنيا والآخرة، لا الذي لا يسمع إذا دعي، ولا ينفع ولا يضر، وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم عليه السلام احتجاجاً على قومه، في أنه لا تصلح الألوهية، ولا ينبغي أن تكون العبودية إلا لمن يفعل هذه الأفعال، لا لمن لا يطبق نفعاً ولا ضرراً<sup>(2)</sup>.

### ويحمل تقديم الموت على الحياة الوارد في قول إبراهيم عليه السلام دلالات عقديّة عظيمة:

1. إظهار كمال التوحيد وعظيم الإيمان الذي وقر في قلب إبراهيم عليه السلام، ثم هو مع كماله وعصمته يرجو ويطمع في مغفرة ربه تعالى، فكيف بمن دونه.

2. إثبات أن الإيمان بالبعث حقيقة يقينية، وتقديمه يؤكد حتمية الرجوع للحياة بعد الممات.

3. أن القوم كانوا لا يُنكرون الموت، وإنما يجعلون له سبباً سوى تقدير الله تعالى، فقدمه إبراهيم عليه السلام لأنهم يقرون به، لذلك قال: ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ يعني: للبعث، وهو أمر لا يُقرُّون به، وإنما قاله استدلالاً عليهم، والمعنى: «إن ما وافقتموني عليه موجب لصحة قولي فيما خالفتموني فيه»<sup>(3)</sup>.

4. التذكير بكمال قدرة الله تعالى في الخلق، ثم الموت، ثم البعث، فقدم الموت؛ لأنه يليه

الألوسي، «روح المعاني»، 10: 96.

(2) الطبري، «جامع البيان»، 19: 363.

(3) ابن الجوزي، «زاد المسير في علم التفسير»، 3: 341.

في عذاب شديد مؤلم دائم فقوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ﴾ قد يفهم منه أنه في عذاب يسير لا يموت بسببه، لذلك أردف بقوله: ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ أي: لا يحيا حياة كريمة، بل حياته ذل وصغار وبؤس وموت، مما يؤكد أنه في ذروة الشدة والعذاب العظيم.

3. الإشارة إلى أن الحالة التي يكون عليها الكافر هي أفظع الحالات؛ إذ التردد بين الموت والحياة بلا موت حقيقي ولا حياة حقيقية أفظع من الموت نفسه. والله أعلم

### المطلب الثاني: ما جاء من كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين:

الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي﴾ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء:

82-81] وردت هذه الآية في سياق وصف إبراهيم

عليه السلام لرب العالمين تعالى، حيث وصفه بأوصاف استحق لأجلها أن يُعبد، وهي الأوصاف الفعلية التي تخص البشر، فمن هذه الأوصاف قال: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾ أي: يقبض روعي في الدنيا ليخلصني من آفاتها ﴿ثُمَّ يُحْيِينِي﴾ للمجازاة في الآخرة كما شافاني من المرض، ولهذا عطف بـ {ثم} للتراخي الزماني بين الموت والإحياء؛ لأن الإماتة في الدنيا والإحياء في الآخرة، ولما ذكر البعث ذكر ما يترتب عليه بقوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ هضمًا لنفسه وإطراحاً لأعماله ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾ أي: يمحوا أو يستر ﴿لِي خَطِيئَتِي﴾ أي: تقصيري

عن أن أقدره حق قدره ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: يوم الجزاء<sup>(1)</sup>، «فربي هذا الذي بيده نفعي وضري، وله

(1) ينظر: الخطيب الشريبي، «السراج المنير»، 3: 19.

والظاهر من السياق والذي عليه أكثر المفسرين أن هذا القول من تمام ما وعظ به مؤمني السحرة لفرعون، يحدرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدى، ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلد<sup>(4)</sup>.

قوله: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ﴾ من خلقه ﴿مُجْرِمًا﴾ يقول: مكتسبا الكفر به، ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾ يقول: فإن له جهنم مأوى ومسكنا، جزاء له على كفره ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فتخرج نفسه ويستريح من العذاب ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ ولا يحيى حياة تنفعه فتستقر نفسه في مقرها فتطمئن، ولكنها تتعلق بالحناجر منهم ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾ موحدا لا يشرك به ﴿فَدَّ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي: قد عمل ما أمره به ربه من الطاعات، وانتهى عما نهاه عنه من المحرمات ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ أي: فأولئك الذين لهم الدرجات العلى والفضائل في الجنة<sup>(5)</sup>.

وقد أفاد تقديم الموت على الحياة: بيان أن عذاب أهل النار دائم لا ينقطع بحيث لا يموتون فتتوقف

الجبار ابن أحمد المروزي، «تفسير القرآن»، المحقق: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط1، 1418هـ - 1997م، 3: 343، «معالم التنزيل»، 5: 286، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، المحقق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1 - 1422هـ، 4: 53.

(4) ينظر: الطبري، «جامع البيان»، 18: 342، ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، 5: 268.

(5) ينظر: الطبري، «جامع البيان»، 18: 342، السمرقندي، «بحر العلوم»، 2: 406.

مباشرة البعث ﴿ثُمَّ يُحْيِيهِنَّ﴾، فالقادر على الخلق والإماتة، قادر على البعث والإعادة؛ بل هو أهون عليه، قال ﷺ: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: 27]. والله أعلم.

5. أن مقصود إبراهيم ﷺ تعديد النعم، ولا ينتقض ذلك بتقديم الإماتة، فإن الموت ليس بضر؛ لأن شرط كونه ضراً وقوع الإحساس به، وحال الموت لا يحصل الإحساس به، إنما الضرر في مقدماته وذلك هو عين المرض<sup>(1)</sup>.

6. أن الموت ذريعة إلى نيله ﷺ للحياة الأبدية، إذ الموت لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحاب الأبدية التي يستحقر دونها الحياة الدنيوية، وخلص من أنواع المحن والبليات<sup>(2)</sup>.

الموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (٧٤) ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ [طه: 75-74] قالت جماعة من المفسرين: هذه الآية بجملتها من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه، وقالت جماعة: بل هي ابتداء من كلام الله تعالى لمحمد ﷺ تنبيهاً على قبح ما فعل فرعون وحسن ما فعل السحرة وتحذيراً قد ضمنته القصة<sup>(3)</sup>.

(1) ينظر: أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب

الكريم»، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 6: 249. (2) ينظر: البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، 4:

141.

(3) ينظر: السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد

فكأنهم بحياتهم أحياء<sup>(3)</sup>، وقوله ﴿وَمَا يَهْلِكُ إِلَّا الْأَدَّهْرُ﴾ أي: وما يهلكنا بعد الحياة ويفيننا إلا مرور الليالي والأيام وطول العمر والسنين، فأحيأونا يصيرون إلى الموت بتأثير الزمان، وحدثانه من طول مدة يعقبها الموت بالشيخوخة، أو من أسباب تفضي إلى الهلاك، إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم<sup>(4)</sup>.

### وفي ذكرهم للموت مقدماً على الحياة دلالات وإشارات متعددة:

1. أن هؤلاء المشركين هم الملاحدة الدهريين التي أفصحت عنهم آية الجاثية حين قالوا: ﴿وَمَا يَهْلِكُ إِلَّا الْأَدَّهْرُ﴾ فزادوا إلى إنكارهم البعث الأخرى، إنكارهم توقف الموت على آجال محدودة للخلائق ووقوعه بإرادة وتقدير من الله ﷻ، وجملة: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ مبينة لجملة: ﴿مَا هِيَ إِلَّا آيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي: ليس بعد هذا العالم عالم آخر فالحياة هي حياة هذا العالم لا غير<sup>(5)</sup>.

2. قال البيضاوي: «يحتمل أنهم أرادوا به التناسخ أي: وهو أن روح الشخص إذا خرجت تنتقل إلى شخص آخر فيحيا بعد أن لم يكن، فإنه

الأمهم ويستريحون، ولا يجيئون حياة طيبة فيهنئون، بل هو عذاب مستمر- كما سبق الإشارة في سورة الأعلى-.

### المطلب الثالث: ما جاء من كلام المشركين:

الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: 37] وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُ إِلَّا الْأَدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: 24]

هاتان الآيتان هما مقالة بعض كفار قريش منكري البعث، فبعد جدالهم ومرائهم في عدم إمكان البعث بعد الموت قال هؤلاء المشركون: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾، «وضمير {هي} ضمير القصة والشأن، أي: قصة الخوض في البعث تنحصر في أن لا حياة بعد الممات، فالقصة هي انتفاء البعث، كما أفاده حصر الأمر في الحياة الدنيا الحاضرة القريبة منا، فلا تطيلوا الجدال معنا في إثبات البعث»<sup>(1)</sup>، والمعنى: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها، تكذيباً منهم بالبعث بعد الممات<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ اختلف المفسرون في معنى هذا القول، فقالت فرقة المعنى: نحن موتى قبل أن نوجد، ثم نحيا في وقت وجودنا، وقالت فرقة المعنى: نَمُوتُ حين نحن نطف ودم، ثم نَحْيَا بالأرواح فينا، نموت نحن ونحيا ونحيا أبناءنا بعدنا، فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم؛ لأنهم منهم وبعضهم،

(3) ينظر: الفراء، «معاني القرآن»، 3: 48، الطبري، «جامع البيان»، 19: 31، الزجاج، «معاني القرآن»، 4: 434.

(4) ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، «غريب القرآن»، المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، 1398هـ - 1978م ص 405، الطبري، «جامع البيان»، 22: 78، ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، 25: 362.

(5) ينظر: الغرناطي، «ملاك التأويل»، 1: 155.

(1) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، 25: 361.

(2) ينظر: الطبري، «جامع البيان»، 19: 31.

- عقيدة أكثر عبدة الأوثان، والمعنى: يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة<sup>(1)</sup>.
3. أن يكون على وجه تقديم الحياة قبل المات؛ لأن القوم كانوا ينكرون البعث بعد الموت، فيكون المعنى: نحيا ونموت، والعرب تفعل ذلك في الواو خاصة إذا أرادوا الخبر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان، ولم تقصد الخبر عن كون أحدهما قبل الآخر، فتقدم المتأخر حدوثاً على المتقدم حدوثه منهما أحياناً، وهذا من ذلك؛ لأنه لم يقصد فيه إلى الخبر عن كون الحياة قبل المات، فقدّم ذكر المات قبل ذكر الحياة؛ إذ كان القصد إلى الخبر عن أنهم يكونون مرّة أحياء وأخرى أمواتاً<sup>(2)</sup>.
4. أن قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ حُكْمٌ عَلَى التَّوَعُّجِ بِجُمْلَتِهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ تَقْدِيمِ وَتَأْخِيرِ، فَكَانَ النَّوْعُ بِجُمْلَتِهِ يَقُولُ: إِنَّمَا نَحْنُ تَمُوتُ طَائِفَةٌ وَنَحْيَا طَائِفَةٌ دَائِبًا، فَإِذَا مَاتَ مَنْ كَانَ حَيًّا خَلْفَهُ مَنْ يَوْجَدُ بَعْدَهُ، فَالْغَرَضُ مِنَ اللَّفْظِ التَّعْبِيرِ عَنِ حَالِ النَّوْعِ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى هَذَا التَّطَوُّرِ عُبرَ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ، أَي: تَتَجَدَّدُ فِينَا الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ حَيَاةٍ أُخْرَى، وَمَقْصُودُهُمْ عَلَى كُلِّ
- وجه إنكار الآخرة<sup>(3)</sup>.
5. أن العطف بالواو لا يقتضي ترتيباً بين المتعاطفين في الحصول؛ بل الواو للاجتماع، ومعنى حكاية قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: يموت البعض ويحيا البعض، ويموت قومٌ ويحيا قومٌ<sup>(4)</sup>.
6. أنه إنما قدم ﴿نَمُوتُ﴾ في الذكر على ﴿وَنَحْيَا﴾ في البيان مع أن المبين قولهم: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ فكان الظاهر أن يبدأ في البيان بذكر اللفظ المبين فيقال: نحيا ونموت، فقدّم نموت لتتأتى الفاصلة بلفظ ﴿وَنَحْيَا﴾ مع لفظ ﴿الدُّنْيَا﴾ وحصلت الفاصلة تبعاً، وهذا من بلاغة الإعجاز.
7. قدم الموت للاهتمام به في هذا المقام؛ لأنهم بصدد تقرير أن لا حياة بعد الموت، ويتبع ذلك الاهتمام تأتي طباقين بين حياتنا الدنيا ونموت، ثم بين نموت ونحيا<sup>(5)</sup>، ثم نعي عليهم مقالهم هذا الذي لا دليل عليه فقال: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: وما لهم بقصر الحياة على حياة الدنيا ونسبة الإهلاك إلى الدهر علم يستند إلى عقل أو نقل؛ لأنهم يقولون ذلك تحرّصاً بغير خبر أتاهم من الله، ولا برهان عندهم بحقيقته ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي: ما هم إلا في ظن من ذلك، وشك يخبر عنهم أنهم في حيرة من اعتقادهم حقيقة
- (1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 5: 108.
- (2) ينظر: الطبري، «جامع البيان»، 22: 78، الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين، «أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيهه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان»، المحقق: عبد القادر أحمد عطاء، دار الفضيلة، ص 226، البغوي، «معالم التنزيل»، 5: 417.
- (3) ينظر: أبو حيان، «البحر المحيط»، 9: 423.
- (4) ينظر: الزجاج، «معاني القرآن»، 4: 434، ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، 25: 362.
- (5) ينظر: ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، 25: 362.

قبورهم فسئلوا، ثم أميتوا في قبورهم، ثم أحيوا في الآخرة، فهما موتتان وحياتان، وهذا مثل قوله ﷺ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]

قولهم: ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ يعني: أقرنا بشركنا، وظهر لنا أن البعث حق، ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ يعني: فهل سبيل إلى الخروج من النار. ويقال: فهل من حيلة إلى الرجوع للعالميا (2).

### ودلّ تقديمهم ذكر الموت على الحياة على جملة من الدلالات، من أبرزها ما يأتي:

1. بيان شدة ندامة الكافرين وتحسرهم على ما فرطوا من أعمال صالحة في حياتهم الدنيا؛ إذ إن المقام مقام اعتراف بالذنوب وأسى على فوات الطاعة، ولما كان الموت هو السبب الذي قادهم إلى مصيرهم المشؤوم يوم القيامة، بدأوا بذكر مافات (الإماتة) قبل ما هو كائن (الإحياء).
2. تحديد الموتين اللتين مرتا بهم، لما لهما من أثر عظيم في نفوسهم، في قوله تعالى: ﴿أَمَتْنَا اثْنَيْنِ﴾ أي: الموتة الأولى التي كانت في الدنيا، والموتة الثانية التي أعقبت البعث.
3. تحقق الوعيد الإلهي الذي أنكروه من قبل، والمتمثل في البعث والحساب والجزاء بعد الموت، فجاء تقديم الموت دالاً على تصديق ما

ما ينطقون من ذلك بالسنتهم، وقصارى أمرهم الظن والتخمين من غير أن يكون لهم ما يتمسكون به من حجة نافذة، لذلك يقولون قولاً بغير حجة، ويتكلمون بالجهل (1).

الموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقَّتْ لَّهُ أَكْبَرُ مِن مَّقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (10) ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: 10-11] لما عاين الكفار النار ودخلوها، مقتوا أنفسهم، أي: لاموا أنفسهم، وغضبوا عليها، فتقول لهم خزنة جهنم: ﴿لَمَقَّتْ لَّهُ أَكْبَرُ مِن مَّقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ يعني: غضب الله عليكم وسخطه، أكبر من مقتكم أنفسكم ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ أي: تجحدون، وتثبتون على الكفر، ثم أخبر عما يقولون في النار بقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا اثْنَيْنِ﴾ واختلف المفسرون في معنى قولهم هذا: يعني: كنا نطقاً أمواتاً، ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَيْنِ﴾ أي: فأحييتنا، ثم أمتنا عند آجالنا، ثم أحييتنا اليوم. وقال بعضهم: إحدى الإماتتين يوم الميثاق، حين صيروا إلى صلب آدم، والأخرى في الدنيا عند انقضاء الأجل، وإحدى الإحيائين في بطن الأمهات، والأخرى في القبر، وقيل: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله ﷻ في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، وقيل: أميتوا في الدنيا، ثم أحيوا في

(2) ينظر: السمرقندي، «بحر العلوم»، 3: 199، الثعلبي،

«الكشف والبيان»، 23: 185، ابن عطية، «المحرر الوجيز»، 4: 549، ابن الجوزي، «زاد المسير في علم التفسير»، 4: 32.

(1) ينظر: الطبري، «جامع البيان»، 22: 80، السمرقندي، «بحر العلوم»، 3: 280، المراغي، «تفسير القرآن»، 25:

2. إن في تقديم الموت على الحياة إشارة إلى تقديم الأسبق في الوجود والخلق؛ لذلك قُدم الموت باعتباره متقدّمًا من جهة الخلق.
3. التذكير بأصل نشأة الإنسان ومبدأ خلقه؛ إذ كان العدم سابقًا على الوجود، والموت من أوائل مراحل التكوين الإنساني.
4. فيه دليل عقلي على عظيم قدرة الله ﷻ وكمال ربوبيته المستوجب لألوهيته؛ إذ إنّ الخالق المحيي المميت هو المستحقّ للعبادة دون سواه.
5. التنبيه إلى حتمية الأجل وقطعية وقوعه، وأن الموت حقيقة لا مفر منها، وأن العودة للحياة الغائية للحساب والجزاء مؤكدة لا ريب فيها. والله أعلم.

### الخاتمة

5. تقرير قدرة الله ﷻ على البعث بعد الموت، والردّ على منكره، فالقادر على الإمامة قادر على الإحياء، بل إنّ ذلك في حكم القدرة الإلهية سواء.
6. التنبيه إلى أنّ الموت من جملة نعم الله تعالى على عباده؛ لما يترتب عليه من انقضاء الآلام والمتاعب الدنيوية، والانتقال إلى النعيم الأبدي الأخرى، والحياة الحقيقية الباقية.
7. إنّ دلالة الموت لا تقتصر على مفارقة الروح للجسد؛ بل تتسع -بحسب السياق القرآني- لتشمل معاني متعددة، كالدلالة على الجهل، والضلال، والكفر، وغيرها.
8. إبراز جانب العظة والاعتبار في ذكر الموت وسكراته؛ لما في ذلك من أعظم الزواجر وأبلغ المواعظ.

### التوصيات:

أوصي بمزيد بحث في دلالات الثنائيات الواردة في

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف البريّات، محمد ذي الكمالات، وعلى آله وصحبه ما أشرقت بنور ربها الأرض والسموات... أمّا بعد:

فإنّي أحمد الله تعالى على ما يسّر وأعان من دراسة دلالة تقديم المتأخر زمنًا أو حكمًا في القرآن الكريم -الموت والحياة أنموذجًا- وما أفضت إليه من استنباط جملة من الحكم الإلهية والفوائد الدلالية المستفادة من السياق القرآني وبنية الألفاظ، ويمكن إجمال هذه الدلالات فيما يأتي:

1. تتباين دلالة تقديم الموت على الحياة تبعًا لاختلاف المتكلم في السياق القرآني؛ فحين يرد في الخطاب الإلهي يكون مشيرًا إلى جلال القدرة الإلهية وعظيم سلطانها، وإذا صدر عن الأنبياء والرسل أفاد معاني التوحيد واليقين والإيمان، أما إذا جاء على ألسنة المشركين فإنه يعكس دلالات الكفر والتكذيب والجحود والإنكار.

عبد الله النمر وآخرون، دار طبية للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

6. البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، المحقق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1- ١٤١٨هـ.

7. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني، «دقائق التفسير الجامع لتفسير»، المحقق: محمد السيد، مؤسسة علوم القرآن - دمشق، ط2، ١٤٠٤هـ.

8. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، ط1، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

9. الجرجاني، علي بن محمد الزين الشريف، «التعريفات»، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

10. ابن جزري، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي، «التسهيل لعلوم التنزيل»، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط1 - ١٤١٦هـ.

11. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، «زاد المسير في علم التفسير»، ط1، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٢٢هـ.

القرآن الكريم، مثل: السموات والأرض، الليل والنهار، وكشف معانيها واستنباط حكمها وأحكامها لإبراز إعجاز هذا الكتاب العظيم من كل وجه.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل وينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عما كان به من خطأ أو تقصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلام على الهادي الأمين، والآل والصحب أجمعين.

### المصادر والمراجع:

1. الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور، «تهذيب اللغة»، ط1، المحقق: محمد عوض دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٢٠٠١م.

2. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، «المفردات في غريب القرآن»، المحقق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1 - ١٤١٢هـ.

3. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، ط1، المحقق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ.

4. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، «صحيح البخاري»، ط5، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

5. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، ط4، المحقق: محمد

12. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر»، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م.
13. الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» ط4، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين - بيروت، 1407هـ - 1987م.
14. الحري، حسين بن علي بن حسين، «قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية»، دار القاسم - السعودية، ط2، 1429هـ - 2008م.
15. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي، «البحر المحيط في التفسير»، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، 1420هـ.
16. الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصهباني، «درة التنزيل وغرة التأويل»، تحقيق: محمد مصطفى، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط1، 1422هـ - 2001م.
17. الخطيب الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الشافعي، «السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير»، مطبعة بولاق - القاهرة، 1285هـ.
18. درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، «إعراب القرآن وبيانه»، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص - سورية، ط4، 1415هـ.
19. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، «مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير»، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3 - 1420هـ.
20. الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، «مقاييس اللغة» المحقق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
21. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، «معاني القرآن وإعرابه» ط1، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب - بيروت، 1408هـ - 1988م.
22. السبت، خالد بن عثمان، «مختصر في قواعد التفسير»، دار ابن القيم - دار ابن عفان، ط1، 1426هـ / 2005م.
23. السَّراج، محمد علي، «اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل»، دار الفكر - دمشق، ط1، 1403هـ - 1983م.
24. أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
25. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي، «تفسير القرآن»، المحقق: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط1، 1418هـ - 1997م.
26. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، «فتح القدير»، ط1، دار ابن كثير، دار

- الكلم الطيب - دمشق، بيروت- ١٤١٤هـ.
27. الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني، «تفسير عبد الرزاق»، دار الكتب العلمية، تحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، سنة ١٤١٩هـ.
28. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠.
29. الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي، «الإكسير في علم التفسير»، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي- الدوحة، 1409هـ-1989م.
30. الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، «فصول في أصول التفسير»، دار ابن الجوزي، ط2، ١٤٢٣هـ.
31. بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي، «التحرير والتنوير»، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.
32. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، المحقق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط-1 ١٤٢٢هـ.
33. الغرناطي، أحمد بن إبراهيم الثقفي أبو جعفر، «ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل»، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
34. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، «معاني القرآن»، ط1، المحقق: أحمد النجاشي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر.
35. الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو، «العين» المحقق: إبراهيم السامرائي، دار الهلال.
36. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، «غريب القرآن»، المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
37. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، «التذكرة بأحوال الموقى وأمور الآخرة»، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، ١٤٢٥هـ.
38. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، «الجامع لأحكام القرآن» ط2، تحقيق: أحمد البردوني وآخرون، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
39. القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، «صحيح مسلم»، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
40. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري، «تفسير القرآن العظيم»، ط2، المحقق: ساي السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

41. الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين، «أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان»، المحقق: عبد القادر أحمد عطا- دار الفضيلة.
42. الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي، «الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية» تحقيق: عدنان درويش وآخرون، مؤسسة الرسالة - بيروت.
43. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، «النكت والعيون»، المحقق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
44. المراغي، أحمد بن مصطفى، «تفسير المراغي»، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ - 1946م.
45. مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق»، حققه: ابن الخطيب- مكتبة الثقافة الدينية، ط1.
46. ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، «التوضيح لشرح الجامع الصحيح»، المحقق: خالد الرباط، دار النوادر، دمشق - سوريا، ط1، 1429هـ - 2008م.
47. المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي، «التوقيف على مهمات التعاريف»، عالم الكتب - عبد الخالق ثروت- القاهرة، ط1، 1410هـ-1990م.
48. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقي، «لسان العرب»، دار صادر- بيروت، ط3-1414هـ.
49. النسفي، نجم الدين عمر بن محمد، «التيسير في التفسير»، ط1، المحقق: ماهر حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول- تركيا، 1440هـ - 2019م.

